ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر)): هذه الجملة جملة)) خبرية يخبر الله عز وجل بها العباد مخاطباً لهم يقول: ((**ألهاكم التكاثر**))، ومعنى ((**ألهاكم**)): أي شغلكم حتى لهوتم عن ما هو أهم من ذكر الله تعالى والقيام بطاعته، والخطاب هنا لجميع الأمة إلا أنه يخصص بمن شغلتهم أمور الآخرة عن أمور الدنيا وهم قليل، وإنما نقول هم قليل لأنه ثبت في الصحيحين أن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: (**يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: أخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألفٍ تسع مئة وتسعة وتسعون**)، واحد في الجنة والباقي في النار، وهذا عدد هائل! إذا لم يكن من بني آدم إلا واحداً من الألف من أهل الجنة والباقون من أهل النار، إذاً فالخطاب بالعموم في مثل هذه الآية جار على أصله، لأن الواحد من الألف ليس بشيء بالنسبة إليه، وأما قوله: ((**التكاثر**)): فهو يشمل التكاثر بالمال، والتكاثر بالقبيلة، والتكاثر بالجاه، والتكاثر بالعلم، وبكل ما يمكن أن يقع فيه التفاخر، ويدل لذلك قول صاحب الجنة لصاحبه: ((**أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً**)). فالإنسان قد يتكاثر بماله فيطلب أن يكون أكثر من الآخر مالاً وأوسع تجارة، وقد يتكاثر الإنسان بقبيلته، يقول نحن أكثر منهم عدداً، كما قال الشاعر: ولست بالأكثر منهم حصى *** وإنما العزة للكاثر ، أكثر منهم حصى؛ لأنهم كانوا فيما سبق يعدون الأشياء بالحصى، فمثلاً: إذا كان هؤلاء حصاهم عشرة آلاف، والآخرون حصاهم ثمانية آلاف صار الأول إيش؟ أكثر وأعز، فيقول الشاعر: لست بالأكثر منهم حصى *** وإنما العزةُ للكاثر ، كذلك يتكاثر الإنسان بالعلم، فتجده يفخر على غيره بالعلم لكن إن كان بالعلم الشرعي فهو خير، وإن كان بالعلم غير الشرعي فهو إما مباح وإما محرم، المهم أن أكثر ما يقع منه التكاثر العلم، وهذا هو الغالب على بني آدم التكاثر. فيتكاثرون في هذه الأمور عما خلقوا له من عبادة الله عز وجل. وقوله: ((**حتى زرتم المقابر**)) : يعني إلى أن زرتم المقابر، يعني إلى أن مُتم، والإنسان مجبول على التكاثر إلى أن يموت، بل كلما ازداد به الكِبر ازداد به الأمل، فهو يشيب في السن ويشب

في الأمل، حتى إن الرجل لـه تسـعون سـنة مثلاً تجـد عنـده مـن الآمال وطول الأمل ما ليس عند الشاب الذي لـه خمـس عشـرة سنة. هذا هو معنى الآية الكريمة. أي: أنكـم تلهـوتم بالتكـاثر عـن الآخرة إلى أن متم. وقيل: إن معنى ((**حتى زرتم المقابر**)): حتى أصبحتم تتكـاثرون بـالأموات كمـا تتكـاثرون بالأحيـاء، فيـأتي الإنسان فيقول: أنا قبيلتي أكثر من قبيلتك وإذا شئت فاذهب إلى القبور عد القبور منا، وعد القبور منكم فأينا أكثر؟ لكن هذا قــول ضعيف بعيـد مـن سـياق الآيـة، والمعنـى الأول هـو الصـحيح، أنـه إيش؟ أنكـم تتكـاثرون إلـى أن تموتـوا. وقـوله: ((**حتى زرتم المقابر**)): استدل به عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على أن الزائر لابد أن يرجع إلـى وطنـه، وأن القبـور ليسـت بـدار إقامـة، وكذلك يذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئا يقـرأ: **((ألهـاكم التكاثر حتى زرتم المقابر**))، فقال: " **والله لنبعثن** "، لأن الزائر كما هو معروف يزور ويرجع، فقـال: " **واللـه لنبعثـن** " . وهذا هو الحق، وبهذا نعرف أن ما يـذكره بعـض النـاس الآن فـي الجرائد وغيرها. يقول عن الرجـل إذا مـات: " **إنه انتقـل إلـى مثواه الأخير** "، أن هذا كلام باطل وكذب؛ لأن القبور ليس هـي المثوى الخير، بل لو أن الإنسان اعتقد مـدلول هـذا اللفـظ لصـار كافراً بالبعث، والكفر بـالبعث ردة عـن الإسـلام، لكـن كـثيًرا مـن الناس يأخذون الكلمات على عوائلها ولا يدرون ما معناهـا، ولعـل هذه موروثة عن الملحدين الـذين لا يقـرون بـالبعث بعـد المـوت. ثم قـال اللـه تعـالى: ((**كلا سوف تعلمـون. ثـم كلا سـوف تعلمون**)) قيل: إن ((**كلا**)) بمعنى الردع يعنـي: ارتـدعوا عـن هذا التكاثر، وقيل: إنها بمعنى حقًّا، ومعنى ((**سوف تعلمون**)) أي: سوف تعلمون عاقبة أمركم إذا رجعتم إلى الآخـرة، وأن هـذا التكاثر لا ينفعكم، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليـه وسلم فيمـا رواه مسـلم (**يقول ابـن آدم: مـالي ومـالي** ـ يعني: يفتخر به ـ **وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصـدقت فأمضـيت**) والبـاقي تـاركه لغيرك وهـذا هـو الحـق، أموالنـا الـتي بيـن أيـدينا، إمـا أن نأكلهـا فتفنى، وإما أن نلبسها فتبلى، وإما أن نتصدق بها فنمضيها وتكون أمامنا يوم القيامة، وإما أن نتركه لغيرنا لا يمكن أن يخـرج المـال

الــذي بأيــدينا عــن هــذه القســمة الرباعيــة. ((**كلا ســوف تعلمون**)) أي: سوف تعلمون عاقبة أمركم بالتكاثر الذي ألهاكم عن الآخرة ((**ثم كلا سوف تعلمـون**))، وهـذه الجملـة تأكيـد للردع مرة ثانية، ثم قال: ((**كلا لو تعلمون علـم اليقيـن**)) يعني: حقًّا لو تعلمون علم اليقين لعرفتم أنكم في ضلال، ولكنكم لا تعلمون علم اليقين، لأنكم غافلون لاهون فـي هـذه الـدنيا،ولـو علمتم علم اليقين لعرفتم أنكم في ضلال وفي خطأ عظيـم. ثـم قال تعالى: ((**لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقيــن**)): ((**لترون**)) هذه الجملـة مسـتقلة ليسـت جـواب (**لو**) ولهـذا يجب على القارئ أن يقف عند قوله: ((**كلا لـو تعلمـون علـم اليقين**)) ونحـن نسـمع كـثيراً مـن الأئمـة الـذين عنـدهم علـم يَصِـلُون فيقولـون ((**كلا لـو تعلمـون علـم اليقيـن لـترون الجحيم**)) وهذا الوصل إما غفلة منهـم ونسـيان، وإمـا أنهـم لـم يتأملوا الآية حق التأمل، وإلا لـو تأملوهـا حـق التأمـل لوجـدوا أن الوصـل يفسـد المعنـى لأنـه إذا قـال ((**كلا لو تعلمـون علـم اليقيـن . لـترون الجحيـم**)) صـار رؤيـة الجحيـم مشـروطة بماذا؟ بعلمهم، وهذا ليس بصحيح، لذلك يجب التنبه والتنبيه لهــذا إذا سمعتم أحد يقرأ ((**كلا لو تعلمون علـم اليقيـن لـترون الجحيم**)) نبهوه وقولوا لـه: يـا أخـي هـذا الوصـل يـوهم فسـاد المعنى، فلا تصل وقف، أولاً: لأنها رأس آية، والمشـروع أن يقـف الإنسان عند رأس كل آية، وثانياً: أن الوصل يفسد المعنى ((**كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيـم**)) إذاً ((**لـترون الجحيم**)) جملـة مسـتأنفة لا صـلة لهـا بمـا قبلهـا، وهـي جملـة قسمية، فيما قسم مقدر والتقـدير: واللـه لـترون الجحيـم، ولهـذا يقول المعربون في إعرابها: إن اللام موطئـة للقسـم، وجملـة ((**ترون**)) هي جواب القسم، والقسم محذوف والتقـدير " **واللـه لترون الجحيم** "، و((**الجحيم**)) اسم من أسماء النـار.((**ثـم لترونها عين اليقين**)) تأكيد لرؤيتها، ومـتى تـرى؟ تُـرى يـوم القيامة، يؤتى بها تُجر بسبعين ألف زمام، كل زمام يجره سـبعون ألف ملك، فما ظنك بهذه النار ــ والعيـاذ بـالله ــ إنهـا نـار كـبيرة عظيمة لأن فيها سبعين ألف زمام، كل زمام يجره سـبعون ألـف ملك، والملائكة عظام شداد فهي نار عظيمة ـ أعاذنا اللـه وإيـاكم

منها-. ((**ثم لتسألن يومئذ عن النعيم**)) يعني: ثم في ذلك الوقت في ذلك الموقف العظيم تسألن عن النعيم، واختلف العلماء رحمهم الله في قوله: ((**لتسألن يومئذ عن النعيم**)) هل المراد الكافر، أم المراد المؤمن والكافر؟ والصواب: أن المراد المؤمن والكافر كل يسأل عن النعيم، لكن الكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع، والمؤمن يسأل سؤال تذكير، والدليل على أنه عام ما جرى في قصة النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر، حيث خرجوا ذات يوم من الجوع، فذهبوا إلى بستان رجل يقال له أبو الهيثم بن التيهان، فاستأذنوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (**السلام عليكم**)، وكانت امرأته وراء الباب فلم ترد عليهم، فقال :(**السلام عليكم**) فلم ترد، فقال: (**السلام عليكم**) فلم ترد، فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لأن الإنسان إذا استأذن ثلاثاً ولم يؤذن له فإنه يرجع، فلحقتهم وقالت: إني سمعت سلامكم، ولكني أحببت أن أزداد في الخير، الرسول يدعوا في السلام عليهم، ولاسيما أنه تكرر من الرسول صلى الله عليه وسلم، فرجعوا فسألوا عن زوجها، فقالت: إنه ذهب يستعذب الماء، أي يأتي بالماء العذب الطيب، فجلسوا ثم جاء الرجل ففرح بهم فرحاً عظيماً، وقال: إنه لا أحد أكرم أضيافاً مني اليوم، ثم قطع لهم عذقاً من نخل وأتى بها، وأعطاه بين أيديهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:(**هلا جنيت؟**) – جنيت يعني خرفت-، وتعلمون أن الخراف أن يجني الإنسان الرطب فقط، فقال: أردت يا رسول الله أن يكون بين أيديكم البُسر والرطب والمذنَّب، لأن العذق يشمل هذا وهذا، ويشمل كل الثلاثة، فأكلوا ثم دعوا بالماء فشربوا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (**ماء طيب، وطعام طيب، وظل طيب، لتسألن يومئذ عن النعيم**)، وهذا يدل على أن الذي يُسأل المؤمن والكافر، ولكن يختلف السؤال، سؤال المؤمن سؤال إيش؟ تذكير بنعمة الله عز وجل عليه حتى يفرح، ويعلم أن الذي أنعم عليه في الدنيا أكرم من أن يهينه في الآخرة، بمعنى أنه إذا تكرم بنعمته عليه في الدنيا تكرم عليه بنعمته في الآخرة، أما الكافر فإنه سؤال توبيخ وتنديم، أسأل الله تعالى أن

يستعملنا وإيـاكم فـي طـاعته، وأن يجعـل مـا رزقنـا معونًـا علـى طاعته، إنه على كل شيء قدير.